نشر ضمن اعمال المؤتمر العاشر لبيت الحكمة ـ بغداد في ٢٤ـ١١ـ٢٠١٠

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة المستنصرية

كلية الآداب / قسم الفلسفة

التصوف المعاصر (محمد علي حلوم) أنموذجاً

قراءة في كتابي الظاهر والباطن والتجلي والصور

المؤتمر العاشر لبيت الحكمة ـ بغداد

ضمن المحور الرابع : شخصيات فلسفية معاصرة

م.م رغد سليم داود حبوش

قسم وحدة الجودة والأداء الجامعي

كلية الطب / جامعة بغداد

٢٠١٠

المقدمة

الحمد لله الذي خلق الخلق بقدرته ، ودلّهم على معرفته بآثار صنعته وشواهد ربوبيته ، واختارمنهم صفوة ً من عباده ، وخيرة ً من خلقه ، خصّ منهم من شاء بما شاء وكيف شاء ، والصلاة على المقدم المعظم المكرم من أنبياءه شمس وقمر الأصفياء محمد عبده ورسوله وعلى آله وصحبه وسلم كثيراً ..

اما بعد :

المفكر الشيخ علي سلمان حلوم من أسرة آل حلوم وهي أسرة من الأسر المشهورة بالعلم والدين والصلاح ، قال عنها د. خضر عمران في كتابه ((الحياة الإجتماعية في لواء اللاذقية)) : (أسرة آل حلوم اسرة معروفة ومشهورة في الوسط الديني والاجتماعي والأدبي) ويعود نسب هذه الاسرة إلى جدهم الأكبر الشيخ يوسف عين البيضا ومقامه معروف ومشهور في وسط مدرسة قرية عين البيضا في محافظة اللاذقية في سوريا ، ووالد الشيخ يوسف هو الشيخ علي الخلالي ومقامه معروف ومشهور في قرية الخلالة ويعرف بإسم (علي بالوليدات) ذكر ذلك الشيخ صالح ناصر الحكيم في كتابه ((العقائد الروحية والفوائد المعنوية)) وكذلك والد الشيخ المباشر كان شيخاً مفتياً يلقب ((ببحر الكرم والجود)) قبته مشهورة في قرية الشبطلية في اللاذقية ، له أربعة أولاد وهم الشيخ أحمد والشيخ محمد والشيخ صالح والشيخ ابراهيم وكان يكنى بأبي إبراهيم توفي في عام ١٩٧٠ ، ومدار بحثنا حول شخصية الشيخ محمد علي حلوم .

ولد عام ١٩٣٠ م في قرية الشبطلية في اللاذقية درس في مدرسة جول جمّال وكان صديقاً وزميلاً للرئيس السوري الراحل حافظ الأسد (رحمه الله) على مقاعد الدراسة .

حصل على إجازة اللغة العربية أي البكالوريوس ومن ثم الماجستير ، فالدكتوراه، يسكن في بيت متواضع الأثاث تمثل فيه زهد الصوفية ، ومكنوز بآلاف الكتب والمخطوطات يديرها مع ابن أخيه الأستاذ عماد الدين حلوم صاحب كتاب ((معجم الكلمات الوافدة باللغة العربية)) طبعة دار عمار للطباعة والنشر اللاذقية ـ سوريا ، وكان الشيخ محمد علي حلوم كما يصفه الشيخ محمد هشام سلطان ((الأديب المفكر الإسلامي الأستاذ محمد علي حلوم والذي عرفته وصادقته وعرف مدى عمق أفكاره)) مقدمة كتاب التجلي و الصورة ، ولمّا كان الشيخ محمد علي حلوم شاعراً وأديباً فإنه من الواجب علينا الاستشهاد ببعض أبياته التي وصف بهاه والده فقال:

شيخ جليل ومفتي الشعب مرجعـــــه	
	من آل حلوم رمز الصالحين علي
عرفت بالجود والتقوى ففزت كمـــــا	
	جليل قدرك بين العالمـــــين علي
فكان إيمانكم فوزاً وأعظمـــــــــه	

	ولائكم لأمير المؤمنيـــــــــن علي

وللشيخ أعمال إنسانية وعلمية كبيرة منها :

١. مجمع الرسول الأكرم الذي يضم الآن جامع الإمام علي الهادي (عليه السلام) ومعهد الأسد لتحفيظ القرآن الذي يخرج كل عام العشرات من حفظة القرآن .
٢. المكتبة الدينية .
٣. المحطة الثقافية .
٤. مبرة الأعمال الخيرية .
٥. المركز الصحي.

أما أعماله العلمية فقد ترك مؤلفات عديدة منها ماهو مطبوع وما هو مخطوط ، وهذا ثبت بمؤلفاته :

١. العقيدة والدين في نهج أمير المؤمنين.
٢. النجاح في الدراسة والحياة.
٣. سلسلة أبطال النهضة العربية (٣ أجزاء) .
٤. في رحاب الشهر المبارك .
٥. علي ومعرفة الله
٦. التجلي والصورة .
٧. ديوان المنتجب العاني (شرح وتحقيق) .
٨. يسألونك عن الخمر .
٩. هكذا أصلي .
١٠. النهج العلوي في الفقه الإسلامي .
١١. الخطابة علماً وإعداداً .
١٢. الله والحقيقة .
١٣. الظاهروالباطن .
١٤. في رحاب الموت (من الاحتضار وحتى ما بعد الموت) .

وترك مجموعة كبيرة لا تزال قيد النشر منها :

١٥. القرآن مفهومه وعلومه .
١٦. فلسفة الزكاة وحكم المال في الإسلام .
١٧. العلويون النشأة والحقيقة .
١٨. فلسفة النهج العلوي ـ فلسفة مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) .
١٩. ديوان المكزون السنجاري (تحقيق وشرح) .
٢٠. الهداية والولاية.
٢١. الزهراء قدوة النساء وهدية السماء .
٢٢. من المؤمنين رجال
٢٣. العلم والعلماء
٢٤. يسألونك عن المرأة .

٢٥. الأدب والأديب .
٢٦. العقد الخالد.
٢٧. الرائد في التربية .
٢٨. لهذا واليناك.
٢٩. النور الجلي في معرفة محمد وعلي .
٣٠. مجموعة محاضرات ألقاها الشيخ في المركز الثقافي .

وبعد إيراد هذا الثبت من المؤلفات ننتقل إلى أهم ما عبّر عنه من المفاهيم والمصطلحات الصوفية في كتابه الصوفية لا سيّما كتابي ((الظاهر والباطن)) و ((التجلي والصورة)) ، حيث تكلم في الأول عن الظاهر والباطن وعن المعرفة الصوفية ثم تجول في ربوع الفكر الإسلامي ؛ ليوجز لنا المعرفة عند المتكلمين والفلاسفة ثم الصوفية ، وكأي باحث في التصوف لابد له من التطرق إلى أصل التصوف ثم إلى حقيقة التصوف وطريق الحق عند الصوفية ، ثم خاض في الطرق الصوفية ، وعالم الاسرار عندهم ، وفي السر ومواده وشروطه وفي التعليم السري ، وفي أنواع المعارف ، ثم تطرق إلى المصطلحات التي اصطلح عليها الصوفية فيما بينهم ، وتكلم الشيخ والمريد والصحبة والوراثة المحمدية ، وأشار على أسماء الله والتأويل وميز بين اسم الذات واسم المعنى .

أما في الثاني وهو ((التجلي والصورة)) فقد تطرق إلى عدة مواضيع منها : التجلي الإلهي ، ثم التجلي باعتباره برهاناً وجودياً وإشارة إلى حقيقة التجلي ومراتبه ، وفلسفة التجلي وصلتها بالمعرفة ، ثم عاد ليؤصل التجلي في عقائد أهل الأديان ، وانتقل إلى الصورة المتكونة بعد التجلي والمتمثلة بالإنسان الكامل أو الحقيقة المحمدية ثم أشار إلى سر الصورة ، وسر التجليات مع أحدية الذات ، ثم تكلم في الغيبة والظهور والإثبات والنفي ثم أشار إلى تنزيه الصورة والإنقسامات في هذا التنزيه ، ثم أشار إلى الفيض ، ومقام (هو) أو غيب الهوية ، وقد صاغ نظرية صوفية سماها بنظرية الهو (هو) .

ثم ميّز بين المعنى والصورة وأجاب على سؤال هل هي هو . متمخض لنا من خلال هذا الصوفي أن الفكر الصوفي لا يزال ينتج رجالاً في حضيرة الفلسفة العربية غاية الصوفي فيها الفناء ليتسنى له الخلود في عليين مع أرواح الأنبياء والصالحين والأئمة الأطهار وسائر المؤمنين.

المبحث الأول :

المصطلحات والمفاهيم الصوفية في كتاب الظاهر والباطن في الإسلام

للدكتور محمد علي حلوم

يعتبر كتاب الظاهر والباطن في الإسلام للشيخ الدكتور محمد علي حلوم من الكتب المهمة التي أراد مؤلفها أن يشرح ما شقّ على الكثيرين من معرفة علمي " الظاهر والباطن" ، وكثر التقول والتأويل والخلط والتهويل .... وبحد قوله " ذهب البعض بعيداً

بين نافٍ لعلم الباطن ونافر منه ، وبين متمسك به لايعرف من سواه .. وفي الحالتين تقصير وانحراف عن جادة الصواب المتمثلة بالحقيقة الجامعة لعلمي الظاهر والباطن " .

ويعتبر هذا الكتاب بحث موضوعي موثق لمعرفة حقائق مجهولة عن علمي الظاهر والباطن.

لقد احتوى الكتاب على نصوص ومصطلحات ومفاهيم صوفية التي تمثل إنجاز الصوفي حلوم في جمع وشرح هذه العبارات التي تفردوا بها أهل التصوف واصطلاحات فيما بينهم لا يكاد يستعملها غيرهم ، يكشف معانيها بقول وجيز .

سنتناول بعض هذه المفاهيم والمصطلحات باعتبارها حقائق شريفة ومعان جليلة تدور بين الصوفية ، حيث أن لأهل كل صنعة وأرباب كل معامله مع بعضهم البعض عبارات وكلمات في جريان أسرارهم وكلمات لايعرف معناها سواهم ، والمراد في شرح هذه الألفاظ لتسهيل الفهم على من يريد الوقوف على معانيهم من سالكي طريقهم ومتبعي آثرهم ، مستعينين بذلك ببعض ماأورده الصوفية من مفاهيم واصطلاحات جرت على ألسنة أصحابها .

المطلب الأول : المصطلحات الصوفية في كتاب الظاهر والباطن في الإسلام .

شرح الدكتور حلوم بعض المصطلحات الصوفي وهي تظهر في بحث التعليم والسلوك والممارسة العامة للصوفية ذلك بقوله في :

١. **الأحدية :** أو (الأحد) اسم (المعنى) وتعني (الصفة الخاصة) بالله عز وجل أحدي الذات والله يقول : ((قل هو الله أحد)) [1]. ويقال لها : " اسم الذات الأعلى"[2] .
٢. **الواحدية :** وتأتي بعد الأحدية وهي (بمرتبة الأسم والمطلق على اسم الله وإذا كانت كذلك فلا تدخل في باب الأعداد ـ أي أنه الواحد الذي لا ثاني له) [3] ، قال تعالى : ((وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم)) [4] .
٣. **الوحدانية** : وهي المرتبة الثالثة بعد الأحد والواحد وتاتي (كمصدر أو صفة) [5] .
٤. **التوحيد** : في اللغة الحكم بإن الشيء واحد والعلم بإنه واحد ، وفي الإصطلاح أهل الحقيقة تجريد الذات الإلهية عن كل تعداد ووهم ، الإعتقاد بوجوده إنه واحد خالق قادر لا شريك له " [6] . ويقول تعالى : ((ليس كمثله شيء)) [7] .ويكمل حلوم شرحه لمصطلح التوحيد بقوله : وفي التوحيد يسمى تعالى بـ (الواحد ، الأحد ، الفرد ، العزيز ، لا إله إلا هو ، لا إله إلا الله ..) وهو بكل حال يعني عدم الجزئية ، وعدم الشريك) [8] ، وقال تعالى : ((لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا)) [9] بينما نجد ورود هذا المصطلح عند الصوفية ، حيث ورد ذكره في كتاب (اللمع) للسراج

---

(1) الإخلاص : الآية : (١)
(2) حلوم ، محمد علي : الظاهر والباطن في الإسلام ، دار عماد للطباعة والنشر ، دمشق ، ط ١ ، ٢٠٠١ ، ص ٧١
(3) المصدر نفسه ، ص ٧١
(4) البقرة : الآية : ٢٣
(5) حلوم : الظاهر والباطن ، ص ٧١
(6) المصدر نفسه
(7) الشورى : الآية : ١١
(8) حلوم : الظاهر والباطن ، ص ٧١
(9) الإنبياء : الآية : ٢١

الطوسي ت (٣٧٨ هـ) في باب التوحيد ، وصفة الموحد ، وحقيقته وكلامهم في معنى ذلك إنه قال : قام رجل بين يدي ذي النون المصري (تولد ٢٤٥ هـ) (رحمه الله) فقال له : خبرني عند التوحيد : ماهو ؟ قال : هو أن تعلم قدره الله تعالى بلا مزاج ، وصنعه للاشياء بلا علاج ، وعله كل شيء صنعه غير الله ، ومهما تصور وهمك فالله تعالى بخلاف ذلك " [1] .وقد سُئل الجنيد البغدادي (ت ٢٩٧ هـ) عن التوحيد مرة ، فقال : " معنى تضمحل منه الرسوم وتندرج فيه العلوم ، ويكون الله تعالى كما لم يزل " [2] . ولمشايخنا في التوحيد مصنفات ، قد قصدنا إلى القليل المشكل من الفاظهم للتوضيح .

٥. **التجريد** : وقال الشيخ حلوم في ذلك المصطلح هو " نزع كل صفات المخلوقين عن الله سبحانه ، فهو الرفيع المنزه عن كل ما سواه " [3] ، وقالوا أيضاً هو بمعنى " ما تجرد للقلوب من شواهد الإلوهية إذا صفا من كل كدوره البشرية " [4] . ونجد أبي بكر محمد الكلاباذي (ت ٣٨٠ هـ) صاحب كتاب (التعرف لمذهب أهل التصوف) يشير إلى هذا المصطلح بقوله : ومعنى التجريد : " أن يتجرد بظاهره عن الأعراض ، وباطنه عن الأعراض ، وهوألا يأخذ من عرض الدنيا شيئاً ، ولا يطلب على ما ترك منهاعوضاً عن عاجل ولا آجل ، بل يفعل ذلك لوجوب حق الله تعالى لا لعلة غيره ، ولا لسبب سواه ، ويتجرد بسره عن ملاحظة المقامات التي يحلها والأحوال التي ينازلها ، بمعنى السكون إليها والاعتناق لها"[5] . فيما نجد أبن العربي (ت ٦٣٨ هـ) قد أشار إلى هذا المصطلح بقوله هو:" أما طه السوى والكون من القلب والسر " [6] .

٦. **التفريد** : يقول الشيخ في شرحه " اي أنه تعالى فرداً ، واحداً ، وتراً ، وجاء (وقوفك بالحق معك) [7] ، وقال بعض المشايخ فيه هو (إفراد المفرد برفع الحدث وإفراد القدم بوجود حقائق الفردانية ، وقال بعضهم " الموحدون لله من المؤمنين كثير والمفردون من الموحدين قليل "[8] . والتجريد والتفريد والتوحيد هي ألفاظ مختلفة لمعان متفقة وتفصيلها على مقدار حقائق الواجدين وإشاراتهم قال قائل : [9]

حقيقة الحق حق ليس يعرفه   إلا المجرد فيه حق تجريد

٧. **التجلي :** قال الشيخ حلوم رحمه لله فيه : (معناه الستر ، كما معناه الظهور وهو أنواع : تجلي الصفات ، وتجلي ذات ، وجاء قوله تعالى في ذلك : ((فلما تجلى ربه

---

(1) السراج الطوسي ، اي نصر عبد الله علي (ت ٣٧٨ هـ : اللمع في تاريخ التصوف الإسلامي ، تحقيق عماد زكي البارودي ، المكتبة التوفيقية ، مصر ، القاهرة ، د.ت ، ص ٣٣ .

(2) المصدر نفسه ، ص ٣٤ .

(3) حلوم : الظاهر والباطن ، ص ٧٢

(4) السراج الطوسي : اللمع ، ص ٣٤٩

(5) الكلاباذي ، ابي بكر محمد (ت ٣٨٠) : التعرف لمذهب اهل التصوف ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، ١٩٦٩ ، ص ١٣٢ .

(6) ينظر الجبوري ، د . نظلة : نصوص المصطلح الصوفي في الإسلام ، دار نينوى للدراسات والنشر ، دمشق ، ٢٠٠٨، ص ٤٠ ، ص ٦٧ ، ص ١٣٩ .

(7) حلوم : الظاهر والباطن ، ص ٧٢

(8) السراج الطوسي : اللمع ، ص ٣٤٩ .

(9) ينظر السراج الطوسي ، اللمع ، ص ٣٥٠ ، والجبوري ، د .نظلة : نصوص المصطلح الصوفي في الإسلام .

للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً)) [10] ، ولكل منها شرحه وتوضيحه المطول[1] سنتناوله في بحثنا لا حقاً. ويقال فيه اي التجلي : " ما ينكشف للقلوب من أنوار الغيوب " [2] وقالوا فيه أيضاً هو : " إشراف أنوار إقبال الحق على قلوب المقبلين عليه " [3] ، وقال بعضهم : [4]

قد تجلى لقلبه منه نورٌ فاستضاءت به من الظلمات

٨. **المكاشفة :** قال فيه : " تعني تحقيق العارف من المشاهدة ، وتطلق بأزاء تحقيق الإشارة أو الإتصال بالقلوب فينكشف لها ما استتر على الفهم ، وكإنها روية العين ، ويقال هي حضور لا ينعت بالبيان " [5] . يذكر القشيري أبا القاسم في (رسالته القشيرية) هذا المصطلح بقوله ، " إن المحاضرة ابتداءاً ثم المكاشفة ثم المشاهدة ، والمحاضرة حضور القلب وقد يكون بتواتر البرهان وهو بعد وراء الستر وإن كان حاضراً بإستيلاء سلطان الذكر ،ثم بعدة المكاشفة وهو حضور بنعت البيان غير مفتقر في هذه الحالة إلى تأمل الدليل وتطلب السبيل ولا مستجير من دواعي الريب ولا محجوب عن نعت الغير ؛ ثم المشاهدة هي حضور الحق من غير بقاء تهمة ، فإذا أصحت سماء السر عن غيوم الستر فشمس الشهود مشرقة عن برج الشرف"[6].

٩. **المشاهدة :**ويشرح الشيخ حلوم مصطلح المشاهدة بقولة :" وتطلق على رؤية الاشياء بدلائل التوحيد ، وتعني روية الحق في الاشياء اي روية الله تعالى في صفاته وقدرته واسمائه ومظاهر القدرة ، وما يتوارى للعبد المؤمن العارف من صورة أو شبه صورةوغير ذلك مما هو دلالة وإثباتاً " [7].

١٠. **علم الحقيقة :** " وهي اجتماع علمي الظاهر والباطن " [8] ويقول ابن عربي محي الدين ابي عبد الله محمد بن علي (ت ٦٣٨ هـ) في الحقيقة هي "سلب آثار أوصافك عنك بأوصافه بإنه الفاعل بك فيك منك لا أنت " [9] .

١١. **علم اليقين :** ويقول فيه الشيخ حلوم هو " ما أعطاه الدليل بتصور الأمور علماً ما هو عليه سماع الصوت أو الأحوال التي تدل على المطلوب " [10] .

١٢. **وعين اليقين :** " ما أعطته المشاهدة والكشف كالرؤية ."[11]

١٣. **وحق اليقين :** " ما حصل من العلم بما اريد به ذلك المشهود ، وهو اعلى الدرجات " [12] .وقالوا في ذلك : علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين ، علم اليقين : " ما كان على دليل وبرهان ، وهي العلوم الخالصة من النظر والاستدلال . وعين اليقين : ما

---

[10] الأعراف : الآية : ١٤٣

[1] ينظر حلوم : التجلي والصورة ، دار ذو الفقار للطباعة ، اللاذقية ، ٢٠٠٩ ، ص ١-٢٠

[2] حلوم : الظاهر والباطن ،ص ٧٢

[3] الطوسي : اللمع ، ص ٣٦٤

[4] المصدر نفسه ، ص ٣٦٤

[5] حلوم : الظاهر والباطن ، ص ٧٢

[6] القشيري ، عبد الكريم بن هوازن القشيري : الرسالة القشيرية، تحقيق نواف الجراح ، دار صادر ، بيروت ،(د.ت) ، ج١ ، ص ٤٣

[7] حلوم : الظاهر والباطن ، ص ٧٢

[8] المصدر نفسه ، ص ٧٣

[9] ينظر ابن عربي ، محي الدين ابي عبد الله محمد بن علي : رسائل ابن عربي ، حيدر آباد ، ١٩٤٨ ، ج ٢ ، ص ١٨ (رسالة رقم ٢٩) .

[10] حلوم : الظاهر والباطن ، ص ٧٣

[11] المصدر نفسه

[12] المصدر نفسه

كان من طريق الكشوف والنوازل ، وحق اليقين : ماكان بطريق المشاهدة والمعاينة بناءً على إنها اسم من المكاشفة" [1] .

١٤. **المجاهدة :** وقول الشيخ حلوم فيه : " يعني في اللغة : المحاربة ، وفي الشرح : حمل النفس على المشاق البدنية ومخالفة الهوى على كل حال " [2]

١٥. **الوصل :** وقول الشيخ فيه : " بأنه إدراك الغائب ، وكذلك الجمع وإدراك الغاية " [3] ، وقالوا فيه : " معناه لحوق الغائب " [4]، وقال الشبلي ، أبو بكر (ت ٣٣٤هـ) :" من زعم أنه واصل فليس له حاصل " [5].

١٦. **ومصطلح الكون :** أورده الشيخ فقال فيه : " كل أمر وجودي ،أوالوجود المطلق العام وعند أهل التحقيق : وجود العالم من حيث هو أي : الكون " [6] . وهو " أسم مجمل لجميع ما كونه المكون بين الكاف و النون " [7].

١٧. **الرداء :** شرح الشيخ حلوم هذا المصطلح بقوله : " ظهور صفات الحق على الصدر " [8] . وقالوا أيضاً فيه : هو " الظهور بصفات الحق " [9] .

١٨. **الكمال :** " التنزيه عن الصفات وآثارها وكذلك ما يكمل به النوع في ذاته أو في صفاته " [10] .

١٩. **وقوله في الملكوت :** " عالم الغيب ، ويقال عالم الملكوت العالم الغيبي المختص بالأرواح والنفوس " [11] ، وقيل ايضاً : بأنه" عالم الغيب " [12] .

وقد أورد كل من المصطلحات التالية في كتابه الظاهر والباطن وبقوله :

٢٠. **عالم اللاهوت :** " العالم العلوي ، وعالم الأرواح ، ووطن الأرواح الاولى الذي منه خلقت وهو عالم السر الأعظم والغيب الذي لا يدرك " [13] .

٢١. **النور القدسي :** وهو ما يفيض من النور على عالم الملكوت والجبروت .

٢٢. **عالم الجبروت :**" هو العالم الذي هبطت إليه الأرواح من عالم اللاهوت وهوالعالم الأوسط بين عالم اللاهوت وعالم الملكوت ، وأطلق عليه عالم الجبروت ؛ لأن الله تعالى يجري فيه الأمور مجرى أحكامه " [14] .

٢٣. **البرزخ :** العالم المشهور بين عالم المعاني ، وعالم الأجسام ، والتعريف العام لغة ومعنى هو الحاجز بين شيئين ، والحاجز في القبر (عالم البرزخ) وصوفياً : (عالم المثل ، اي الوسط بين الأجسام والأرواح) .[15] بينما ورد ذكر هذه المصطلحات في

---

[1] ينظر الجبوري ، د. نظلة : نصوص المصطلح الصوفي في الإسلام ، ص ١٧٥ ، ص ١٠٦ .
[2] حلوم : الظاهر والباطن ، ص ٧٣ .
[3] المصدر نفسه ، ص ٧٣ .
[4] ينظر د . نظلة : نصوص المصطلح الصوفي ، ص ٤٧
[5] السراج الطوسي : اللمع ، ص ٣٥٧
[6] حلوم : الظاهر والباطن ص ٧٣
[7] السراج الطوسي : اللمع : ص ٣٥٧
[8] حلوم : الظاهر والباطن ، ص ٧٣
[9] ينظر د. نظلة : نصوص المصطلح الصوفي ، ص ١٥٩
[10] حلوم : الظاهر والباطن ، ص ٧٣
[11] المصدر نفسه ، ص ٧٤
[12] ينظر د. نظلة : نصوص المصطلح الصوفي ، ص ١٥٩
[13] حلوم : الظاهر والباطن ، ص ٧٤
[14] حلوم : الظاهر والباطن ، ص ٧٤
[15] المصدر نفسه ، ص ٧٤

نصوص الصوفية بشكل الآتي : عالم الجبروت : " هو عالم العظمة ، وعند الأكثرية العالم الوسط "[1] وفي قولهم بـالبرزخ هو " العالم المشهود بين عالم المعاني وعالم الأجسام " [2]وقوله في الحجب :

٢٤. **الحجاب :** "هو الساتر ، والحائل بين الطالب والمطلوب ، ويقال للرسول الأكرم حجاب أي ترجمان وحجاب وصل الأحجاب فصل ولأنه يرى من خلاله الرسول ولايرى المرسل " ، وأما .

٢٥. **الحجب النورانية :** " وهي حائل بين المطلوب وبين الطالب ، وهي بشدة أنواعها تحجب الرؤيا ، والحجاب بشكل عام كل ما حجب مطلوبك عنك " [3]

٢٦. **والحجب الظلمانية :** يقول فيها الشيخ أنها " ظلمة الكدر والكثافة وهي حائل كظلمة الجسم من حيث الشهوة واللذات وغيرها من الذنوب والمعاصي ومصطلح الطريقة ، والرياضة ، والطريق قد أورده الشيخ حلوم هذه المص طلحات كالآتي :

٢٧. **الطريقة :** "السير بالسير المختصة بالسالكين إلى الله تعالى من قطع المنازل والترقي بالمقامات ".

٢٨. **أما الرياضة :** يراد بها : " تذهيب النفس عن خلطات الطبع ونزعاته " .

٢٩. **الطريق :** هو " عبارة عن مواسم الحق المشروعة التي لا رخصة " .[4] وقال ابن عربي في مصطلح الطريق بـأنه : " عبارة عن مواسم الحق تعالى المشروعة التي لارخصة فيها " [5] ، أما قوله في الرياضة : رياضة الأدب : وهو الخروج عن طبع النفس ورياضة الطلب ، وهو صحة المراد به وبالجملة فهي عبارة عن تهذيب الأخلاق النفسية " [6] .

٣٠. **الوجد :** يقول الشيخ فيه : " ما يصادف القلب من الأحوال المغنيه له عن شهوده ، وهو أيضاً خشوع الروح عن مطالعة سر الحق . وقيل عجز الروح عن احتمال غلبة الشوق عند وجود حلاوة الذكر " [7] . وقيل فيه أيضاً الوجد : " هو ماصادف القلب من فرح ، او غم ، أو روية معنى من الأحوال الأخرى أو كشف حالة بين العبد والله عز وجل " .[8] وقالوا : " سمع القلوب وبصرها ، يقول تعالى: ((فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور)) [9] ، والوجد : " ما يصادف قلبك ويرد عليك بلا تعمد ولا تكلف " [10] ، ويقول الشيخ في مصطلح النهاية : " هي العودة إلى الصفاء الذي قبل التعلق بالجسد " وهناك مصطلحات عديدة قد ذكرها الشيخ الدكتور حلوم في كتابة الظاهر والباطن لا مجال لذكرها لكثرتها ، وأرجو من الله أن اكون قد وفقت في عرض أغلبها في بحثي هذا .

---

[1] ينظر د. نظلة : نصوص المصطلح الصوفي ، ص ١٥٩
[2] حلوم : الظاهر والباطن ، ص ٧٤
[3] المصدر نفسه .
[4] حلوم : الظاهرو الباطن ، ص ٧٤ ـ ٧٥
[5] ابن عربي :رسائل ابن عربي ، ج٢ ، ص ١٨ (رسالة رقم ٢٩)
[6] المصدر نفسه
[7] حلوم : الظاهر والباطن ، ص ٧٥
[8] الكلاباذي ، أبو بكر محمد (ت ٣٨٠هـ) : التعرف لمذهب اهل التصوف ، تقديم د. يوحنا الحبيب ، دار صادر ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٢ ، ص ٨١
[9] الحج : الآية : ٤٦
[10] الرسالة القشيرية : ص ٢٧

المبحث الأول : المطلب الثاني

المفاهيم الصوفية في كتاب الظاهر و الباطن للشيخ الدكتور محمد علي حلوم

قد وردت بعض المفاهيم الصوفي في كتاب الشيخ حلوم " الظاهر والباطن " سنذكر أهمها :

أولها الحقيقة المحمدية : ويذكرها لنا الشيخ حلوم بقوله : " بإنها حقيقة رسول الله ﷺ من حيث أنه المخلوق الأول "[1] وكما جاء في الأثر : (أول ما خلق الله نور ومن نوري خلق كل شيء) . فالحقيقة المحمدية رمز إلى حقيقة الحقائق التي ظهر بها الوجود وللفظ (الحقيقة المحمدية) مترادفات (الكلمة المحمدية) (النور المحمدي)[2]

وعلى حد تعبير الصوفية أنفسهم ،" فإن الحقيقة المحمدية التي هي عند الصوفية أسبق في الوجود على كل موجود بصفة عامة ، وعلى وجود محمد رسول الله ﷺ بصفة خاصة " [3] ، ويصف بعض متصوفة المسلمين كالشيخ الأكبر * " الحقيقة المحمدية بـ الكلمة الإلهية فيعدها منبع الفيض الروحي والعلم الباطن "[4].

فالحقيقة المحمدية هي (أكمل مجلى خلقي ظهر فيه الحق ، بل هي الإنسان الكامل بأقصى معانيه وإن كل موجود هو مجلى خاصاً لأسم الهي ، فإن محمد ﷺ قد انفرد بإنه مجلى للإسم الجامع وهو الأسم الأعظم (الله أو الذات كانت له مرتبة الجمعية المطلقة ، وللحقيقة المحمدية التي هي أول التعيينات عدة وظائف ينسبها إليه الشيخ الأكبر ..فهي مبدأ خلق العالم وأصله ، ومنتهى غايات الكمال الإنساني ، ومن الناحية الصوفية هي المشكاة التي يستقي منها جميع الإنبياء والأولياء العلم الباطن ..) [5]

وللحقيقة المحمدية التي هي أول التعينات عدة وظائف ينسبها إليها الشيخ الأكبر محي الدين ابن عربي :

١. من حيث صلتها بالعالم : الحقيقة المحمدية هي مبدأ خلق العالم وأصله ، من حيث إنها النور الذي خلقه الله قبل كل شيء وخلق منه كل شيء وفي معنى قوله (ص) : " كنت أول الأنبياء في الخلق و آخرهم بالبعث " [6] ، وقوله (ص) " كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد " [7] وهي أول مرحلة من مراحل التنزل الإلهي في صور الوجود ، وهي من هذه الناحية حقيقة الحقائق .[8]
٢. من الناحية الصوفية : هي المشكاة التي يستقي منها جميع الأنبياء والأولياء العلم الباطن ، " فالحقيقة المحمدية التي هي النور المحمدي والتي لها

---

(1) الظاهروالباطن : ص ١٣٢
(2) الحكيم ، د.سعاد : المعجم الصوفي ، ص ٣٨٤
(3) حلمي ، محمد مصطفى : الحب الإلهي في التصوف الإسلامي ، دار القلم ، مصر ، ١٩٦٠، ص ٥
*الشيخ الأكبر هو ابن عربي ، محي الدين
(4) عفيفي ، ابو العلا: التصوف الثورة الروحية في الإسلام ، دار الشعب ، بيروت (د.ت) ، ص ١٠
(5)الحكيم ، د.سعاد : المعجم الصوفي ، ص ٣٨٤ وينظر حلوم، محمد علي :الظاهر والباطن ، ص ١٢٣ وكتابه التجلي والصورة ، ص ٥٢
(6) القندوزي : ينابيع المودة ، ج ١ ، ص ٩
(7) المصدر نفسه ، ص ٩ ، ينظر الحكيم ،د.
(8) ينظر حلوم : الظاهر والباطن ، ص١٢٣ ، وكتابه التجلي والصورة ، ص٦٧ .

اسبقية الوجود على النشأة الجسدية المحمدية لها ظهور في كل نبي بوجه من الوجوه لـ نواب محمد : مظهر الحقيقة العيسوية من الحقيقة المحمدية ، والحقيقة الموسوية من الحقيقة المحمدية ، إلا إن مظهرها الذاتي التام واحد : وهو شخص محمد (ص) . [1]

٣. من ناحية صلتها بالإنسان : يعتبر ابن عربي " الحقيقة المحمدية منتهى غايات الكمال الإنساني فهذه الصورة الكاملة للإنسان الكامل الذي يجمع في نفسه حقائق الوجود " [2] ، ويعتبر ابن عربي ما يسميه " الحقيقة المحمدية أو " الروح المحمدي " هي أصل الحياة الروحية في الوجود والمنبع الذي يستمد منه الأنبياء والأولياء علومهم ، أو الروح الذي ظهر فيه صور الأنبياء والأولياء من لدن آدم إلى النبي محمد نفسه ، كما ظهر في صور الأولياء منذ وجدت الولاية ، فجميع الأنبياء والأولياء ، صور أو مجال تجلت فيه الحقيقة المحمدية ، أو الروح المحمدية ـ او النور المحمدية " [3] كما يسميه أحياناً . ويقول الشيخ الدكتور حلوم في هذا " إننا نقف أمام حقيقة النبي الأعظم والرسول الأكرم كما شاءه الله نوراً لعالم النور وبشراً لعالم الشهادة والظهور ، ولذلك يجل نور الله أن يحل في الأصلاب أو يتصور في الأرحام " [4] .

ثانيها : مفهوم الإنسان الكامل

تغلفت فكرة (الإنسان الكامل) في تراثنا الصوفي بعد ابن عربي ، وكثرت تعريفاته ، فالإنسان من حيث الصورة أو من حيث كونه حقيقة أو رمز أو خليفة ، ويقول الشيخ الدكتور حلوم في ذلك " إن مفهوم الإنسان الكامل كان موضع دراسة واهتمام كبيرين لدى الصوفية خاصة والفلاسفة والمفكرين عامة ، ولئن كان هذا المصطلح (الإنسان الكامل) قد أخذ معاني وأبعاد جمة وتطلب الكثير من البحث الدقيق مستنداً على الجوانب الدينية والفلسفية والعرفانية وسواها .. فقد رأينا أن نشير إلى نقاط هامة من هذه الدراسات المستفيضة " [5] . [هناك ثنائيات لفظية أطلقها ابن عربي مسبوقاً في ذلك بتيار فكري بعيد الجذور في الفلسفيات القديمة للتعبير عن فكرة : الإنسان صورة العالم فوجدت المصطلحات التالية : (انسان كبير (العالم) ، وإنسان صغير ـ عالم كبير وعالم صغير الإنسان)] .

(فالإنسان : عالم صغير ، والعالم : إنسان كبير ..فكان الإنسان آخر مولد في العالم أوجده الله سبحانه جامعاً لحقائق العالم كله وجعله خليفة * ، فأعطاه قوة كل صورة موجودة في العالم " [1] . والإنسان وإن صغر جرمه عن جرم العالم فإنه يجمع حقائق العالم الكبير ولهذا يسمى القعلاء .

---

[1] المصدر نفسه
[2] المصدر السابق
[3] عفيفي ، أبو العلا : التصوف الثورة الروحية في الإسلام ، ص ٢٩٨
[4] حلوم : الظاهر والباطن ، ص ١٢٦
[5] المصدر نفسه ، ص ٢٠١
* إشارة إلى قوله تعالى : ((وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة .) البقرة : الآية : ٣٠
[1] حلوم : الظاهر والباطن في الإسلام ، ص٢٠١

العالم : " انسان كبير ، ولم يبقى في الإمكان معنى إلا وقد ظهر في العالم فقد ظهر من مختصره " [2] .. حيث يرى المتصوفة إن الإنسان عالم اصغر ، وهذا الرأي يتفق مع أخوان الصفا في كون الإنسان عالم أصغر وفي كون العالم أنسان أكبر ، فالإنسان روح بسيطة وهي الروح هي العالم المطلق ومن عين الحقيقة وهذه الروح متصلة بالمادة والمادة بالنسبة له عدم فالإنسان دائماً يحن إلى أصله وهي الحقيقة التي هي بالواقع المعرفة ذاتها ، والخير ذاته والجمال ذاته " [3] ، وقد ورد في كتاب الشيخ حلوم " الظاهر والباطن في الإسلام " وكتاب " التجلي والصورة " عدوه مصادر ومراجع أراد بها الشيخ حلوم توضيح مفهوم " الإنسان الكامل " فقد جاء في كتاب(حلية الابدال ـ ط ، حيدر آباد ،ص ٩) : " إن الإنسان الكامل لا يبقى له في الحضرة الإلهية اسم إلا وهو حامل له " . وفي المعجم الصوفي عن (إنشاء الدوائر ، ص ٢٢) : " فكأنه الإنسان " برزخ بين العالم والحق وجامع لخلق وحق وهو الخط الفاصل بين الحضرة الإلهية والكونية كالخط الفاصل بين الظل والشمس وهذه حقيقته .. " وما أورده ايضاً في المعجم الصوفي ، ص١٦٥ " ومرتبة الإنسان الكامل ومراتب الطبيعة إلى آخر تنزلات الوجود ويسمى بالمرتبة العمائية ايضاً فهي مضاهية للمرتبة الإلهية ولافرق بينهما إلا بالربوبية والمربوبية لذلك صار خليفة " . أذن الواقع يشير إلى إن الصوفية أول من تحدث في الإسلام عن الإنسان الكامل ويدور مجمل بحثهم بتأكيد صورة الإنسان الكامل " [4] . ويقول حلوم :" إن الإنسان بصورته ونفسه وعقله ...مستودع اسرار وأعاجيب كرمه الله تعالى وشاءه أن يكون الخليفة والرمز والمعجزة ".

ويشير الشيخ حلوم إلى حقيقة اصلها أن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) قد سبق الجميع بتعريف الإنسان (العالم الصغير) وما يحوي من أسرار الكون فقال (عليه السلام) مخاطباً الإنسان :

دواؤك فيك وما تشعـُـــــــــرُ
وداؤك منك وما تبـــــــــصر
وأنت الكتاب المبين الـــــــذي
بأحرفه يظهر المضمـــــــــر
أتزعم أنك جرم صغيـــــــرٌ
وفيك انطوى العالم الأكبـــــر

---

(2) المصدر نفسه ، ص ٢٠١
(3) عبدالزهرة ، احمد : الصوفية وسبيلها إلى الحقيقة ، نينوى للطباعة والنشر ، دمشق ، ط١ ،٢٠٠٤ ، ص ١٤٣ ، ١٤٤
(4) ينظر حلوم : علي ومعرفة الله ، ص ٢٠ ، وكتابه الظاهر والباطن في الإسلام ، ص ٢٠١ ـ ٢٠٣ ، وكتابه التجلي والصورةن ص ٥٥ ـ ٥٦

ويقول الشيخ حلوم " أننا نرى أن الإنسان الكامل هو حقيقة البرزخ بين الحق والخلق ، والحجاب الأسمى ، وأنه قبل كل شيء حقيقة النبي محمد (ص) ، أي الحقيقة المحمدية ، وكمال الصورة والنفس الإنسانية ".[1]

المبحث الثاني :

المصطلحات والمفاهيم الصوفية في كتاب حلوم التجلي والصورة

التجلي والصورة موضوعان هامان ومرتكزان اساسيان تقوم عليها معاني ومعتقدات شتى ، كما استأثر بكثير من اهتمامات ومؤلفات الصوفيين والموحدين وأهل العرفان .

ويقول الشيخ حلوم " أن التجلي الذي جاء تعريفه على ألسنة الحكماء والفلاسفة وكثير من العلماء وتحدث عنه القائلون بالمثل ونظريات الارتقاء الروح والمجاهدة وأهل الكشف والشهود ـ كما يسمون انفسهم ـ والذي جاء في أكثر الأديان بشكل أو بآخر ...والتجلي الذي جاء به القرآن حجة وبرهاناً ، هذا التجلي كان إثبات وجودالإله القادر على كل شيء قدير ولنفي العدم ودحض الجحود ...والصورة : هي مرأى التجلي الأعظم سواء بالأسماء أو الصفات أو تجلي الذات للذات أو كما في عالم النور ، أوكما شاء جل وعلا من إبداء معالم الظهور .. متى شاء ، وكيفما شاء ولمن شاء .. دون ان تغيره الأحوال .. والصورة بأنواعها التي هي كسوة المعاني المرئية والمعبرة عن الحقيقة المعنوي ، والناطقة بالقدرة الإلهية ..." [2].

قد أوردنا في هذا المبحث بعض المصطلحات والمفاهيم المهمة التي ورد ذكرها في كتاب التجلي والصورة .

<u>المبحث الثاني /المطلب الأول : المصطلحات الصوفية</u>

أولاً : التجلي التجلي والصورة

١. التجلي لغة معناه : " الظهور أوالوضوح كما يعني الستر ، والتجلي خاص كتجلي الباري لموسى (ع) [3]، لقوله تعالى : " فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وخر موسى صعقاً " [4] . ويقول الشيخ في ذلك : " شاء الله تعالى بلطفه وحكمته أن يكون تجليه لعباده إيناساً ولطفاً منه وإثباتاً .. فهو في حقيقته المعنوية ولطفه الخفي سر الاسرار ونور الأنوار (النور الأزلي المجرد) تجلى سبحانه للأنام بقدرته وعظيم صفاته وكريم اسمائه فكان بذلك الظاهر والباطن " [5]، وهو تعالى ولنا بآياته عن تجليه بقوله تعالى : " فلما تجلى ربه للجبل " [1] ، وقوله تعالى :

---

(1) حلوم : الظاهر والباطن، ص ٢٠٤
(2) حلوم ، محمد علي : التجلي والصورة ، دار ذو الفقار للطباعة والنشر ، اللاذقية ، سوريا ، ٢٠٠٩ ، ص ٩
(3) المصدر نفسه ، ص ١٥
(4) سورة الأعراف : الآية : ١٤٣
(5) حلوم : التجلي والصورة ، ص١٠
(1) سورة الأعراف : الآية ١٤٣

"الله نور السموات والأرض "[2] ، وقوله تعالى : " لاتدركه الأبصار وهو اللطيف الخبير " [3] ، وقال أمير المؤمنين : وهو أول من عرف التصوف السليم في الإسلام وأوضح مسالكه فسار على هداه الكثيرون من أجلاء الصحابة في التجلي " الحمد لله المتجلي لخلقه الظاهر لقلوبهم بحجته " [4] . ولقد جاء في القرآن الكريم العديد من الآيات الكريمة التي تدل دلالة واضحة على التجلي ـ ويقول الشيخ فيه : " والتجلي إذا لم يرافقه رفع حجاب الظلمة عن بصر المبصر لا يتمكن من شهادة المتجلي ، لأن التجلي يعني المعرفة (الإشراقية) ورفع الحجاب الظلمة عن بصر المبصر وحصول الشهادة بحسب الطاعة والاستعداد " [5] ، وللتجلي مفاهيم وصور مختلفة والصوفيون يقولون بالتجلي مستندين في اقوالهم وآرائهم إلى الآيات الكريمة التي تثبت حقيقة التجلي الإلهي بأنواعه سوف نتناولها بالتفصيل لاحقاً .

ثانياً : الصورة

٢. **الصورة :** في اللغة معناها : " صورة الشيء رسمه وجعل له رسماً أو صورة وتصور الشيء (تخيله) والصورة : شكل مرئي محسوس أو شبه محسوس أو خيالي يتراءى للناظر ، وهي شكل محسوس أو متصور معقول أو محسوس ... والصورة تدل على مصورها... والله سبحانه (الخالق البارئ المصور) ....[6] وفي التعبير الصوف الفلسفي :" الصورة هي المرآة (المرأى) المعبر عن الجوهر الإلهي المتحركة بقوة الجوهر " [7]، ويؤكد الشيخ حلوم على (القول بالصورة قديم جداً ، سبقت المسيحية بقرون عديدة ، ففي العقيدة الهندية (كريشنا) وفي العقيدة المصرية القديمة (هورس) وعند اليونانيين تعدد الآلهة وقصة (بروميثوس) وكذلك عند الصينين في آلهة متعددة من البشر والرموز والصور.."[8] . ويكمل الشيخ حلوم قوله " في التوراة اشرة واضحة إلى (الصورة) ومطابقتها لصورة الإنسان ، وفي الإنجيل كذلك في تجسيد الأقنوم الثاني (الأبن) في الصورة (الإنسان) ، وفي القرآن : التجلي ، وشيبه الصورة ـ والتمثال .. وفي الحديث (خلق الله آدم على صورته) * ويتطرق إليها بحثاً كما يقول بها العديدون من علماء ومتصوفة المسلمين : كالغزالي وابن عربي والجنيد والحلاج والسهروردي وابن الفارض والمكزون السنجاري .. وغيرهم " [9] ، ولفظ الصورة ورد في القرآن الكريم بقوله تعالى : "في أي صورة ما شاء ركبك" ، وفي الحديث الشريف كقول رسول الله محمد (ص) : " رأيت ربي في أحسن

---

[2] سورة النور : الآية ٣٤

[3] سورة الأنعام : الآية ، ١٠٣

[4] الإمام علي بن ابي طالب (ع) : نهج البلاغة ، شرح الشيخ محمد عبده ، الدار الإسلامية ، بيروت ، (د.ت) ، ص ١٨٧

[5] حلوم : التجلي والصورة ، ص ١٦

[6] المصدر نفسه ، ص ٥١ـ٥٢

[7] ينظر حلوم : التجلي والصورة ، ص ٥٢ ، وكتابه الظاهر والباطن ، ص ١٤١

[8] حلوم : الظاهر والباطن ، ص ١٤١

* حديث رواه احمد بن حنبل في مسنده ، ورواه البخاري ومسلم عن ابي هريرة ورواه عنه الطبراني وغيره ، فيض القدير ، ج ٣ ن ص ٤٤٧

[9] حلوم : التجلي والصورة ص ٥٢ ـ٥٦ وينظر حلوم : الظاهر والباطن ،ص ١٤١ ـ ١٤٣

صورة ويذكر الشيخ حلوم ما قاله المكزون السنجاري * بأن للصورة " اربعة أنواع أولها الصورة المادية : وهي صورة الموجودات التي تدرك بالعين الباصرة وثانياً الصورة الطيفية : وهي الصورة التي تراها في الحلم وثالثاً الصورة الإنعكاسية : وهي الصورة التي نراها في المرآة والأجسام الصقيلة ، ورابعاً الصورة التصورية : وهي ما ترتسم في الذهن بآثار مماثل خارجي سواء كان المثير مادياً أو معنوياً .." [1] ، ويقول الشيخ في " أنّ الصورة والظهور والتجلي وكل علائم الظهور ، والإثبات نراها من حيث نحن لا من حيث هو جل شأنه إذ هو نور لأهل النور وصوره وظهور لأهل الكدر "[2] ، ويقول أيضاً : "إنّ الله سبحانه لا يحول ولا يزول عن كيانه مهما أبدا من ظهورات وصور وتجليات لا تحده الجهات والصفات " ،" ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء " [3] وبالشيء الذي شاءه جل شأنه كانت الصورة المعبرة وكانت المجاهدة لمعرفتها " [4] .

٣. **ثالثاً المثل والمثال :** في اللغة : جاء تفسير معنى (المثل) كما جاء تفسير معنى (المثال) : وفي كتب الصوفية والموحدين تفاسير وتعاريف عدة إنطلاقاً من غاية التقريب والتفهيم وللتفريق بين الصورة وبين المثل والمثال . جاء قوله تعالى صريحاً واضحاً جل شأنه : " ليس كمثله شيء " [5] ، ونفي رسول الله (ص) في كثير من الأحاديث الشريفة أن يكون سبحانه شبيه أو نظير ، وكذلك جاءت اقوال ائمة الهدى (ع) ، ويقول الشيخ حلوم لعل أوضح معنى ما جاء في كتاب (المضنون به على غير أهله ، وهو للغزالي : " المثل : هو الشبيه والنظير ، والله جل عن الشبيه والشريك ، " وليس كمثله شيء" ، والمثال : هو المحسوس بين الله وعباده ونور أو سواه ، وفي المصدر نفسه ، ص ١٥١ : ذات الله منزه عن الشكل والصورة ولكن تنتهي تعريفاته إلى العبد بواسطة مثال محسوس من نور أو غيره من الصور الجميلة التي لا تصلح أن تكون مثالاً صادقاً وحقاً وواسطة في التعريف فيقول النائم : رأيت الله في المنام لا يعني أني رأيت ذاته ، يقول رأيت النبي لا بمعنى أنه رآى ذات النبي وروحه أو ذات الشخص بل يعني أنه رآى مثاله " [6] ،ويعلق حلوم على ماجاء به من كلام " وعليه فإن المثل عبارة عن المساوي في جميع الصفات ، والمثال لا يحتاج فيه إلى المساواة فإن للعقل معنى لا يماثله غيره " [7] والصورة التي سبق الحديث عنها لا تكون بمثابة المثل ولها فلسفتها ومعانيها والله جل شأنه " ليس كمثله شيء" ؛ لذلك "كان المثل والمثال والصورة وكل مقام من مقامات التجلي أو مظهر من مظاهر القدرة غير الله (المعنى) اللطيف الذي لا يحد ولا يحاط ولا يدرك ولا يحل ولا يجسم ولا يقع

---

*المكنوز السنجاري ، من مفكري العصر العباسي الرابع ،كان أميراً متصوفاً ، له ديوان شعر ورسائل وأدعيةً

[1]حلوم : التجلي والصورة ، ص ٥٠

[2]حلوم : الظاهر والباطن ، ص ١٤٣

[3]سورة البقرة :آية الكرسي

[4]حلوم : التجلي والصورة ، ص ٥٣

[5]الشورى : الآية ١١

[6] حلوم : التجلي والصورة ، ص ٩٤ ـ ٩٥

[7] المصدر نفسه ، ص ٩٥

تحت الحواس ولايقاس بالناس .." [1] ، ويبقى تنزيه الخالق عن المظاهر والحصر والتشبيه هو التوحيد السليم والنزيه المطلوب وقال قائل في ذلك:[2]

وجل معناه حتى دق عن صفه وعن إحاطة تكييف وتشبيهِ

المبحث الثاني/ المطلب الثاني : المفاهيم الصوفية في كتاب التجلي والصورة

أولاً : مفهوم التجلي : حقيقة ومراتب التجلي

للتجلي مفاهيم وصور مختلفة وفي القرآن شبه صورة أو تشبيه بصورة غيرها أو الانتقال من صورة إلى شبه صورة فتكون الحقيقة غير معلومة والعجز والقتل يقعان على (الشبه) ، قال تعالى : "وما قتلوه وما صلبوه ولكن شُبّه لهم " [3] . والصوفيون يقولون بالتجلي مستندين في أقوالهم وآرائهم إلى الآيات الكريمة التي تثبت حقيقة التجلي الإلهي بأنواعه .

ويقول الشيخ أنّ الصوفية بعضهم يقول في " التجلي هو قدرة وأسماء وصفات لا تجلي لعين الحقيقة والذات " [4] ، ويقف آخرون عند الآية الكريمة " هو الأول والآخر والظاهر والباطن " [5] ، مؤكدين الوجه الظاهر في عالم الشهادة والإثبات والوجه الغيبي الباطني في عالم الغيب والمعاني .ويقول الشيخ ايضاً :

" وتجليه سبحانه من مختصاته ودلائل قدرته " كل يوم هو في شأن " ... يتجلى لقلوب الأنبياء والأولياء في كسوة الاسماء والصفات ، تختلف التجليات على حسب اختلاف قلوبهم وقدرتهم على تحمل ما يبدو من جلائل عظمته وفيض انواره ويظهر لهم ما يدل على ما يرجونه دون حصر أو إدراك"[6] .

أما أنواعه :

١. التجلي المعنوي .
٢. التجلي الصوري .

فالتجلي الأول : المعنوي " هو ظهور البار ئ بأسمائه وصفاته وأفعاله وقدرته المشتقة من الحياة ، والعلم ، والوجود ، والقدرة ، والمشيئة ، والنور الكلي المجرد "[7] ،وفي التجليات المعنوية التي هي كلمات الله " لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفذ البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي " . فكيف بمبدأ الكلمات ومصدر الآيات فإن بحر الوجود وأقلام عالم الغيوب والشهود يعجز عن تجلي من تجلياته بهر برهانه وعظم سلطانه .

" فالتجلي الحقيقي هو معرفة الله بالعقل والذوق كما هوعند اهل الكشف الذين يجاهدون في سبيل تحقيق المعرفة المتوخاة عن طريق الذوق والعيان " [8] .

---

[1] حلوم : التجلي والصورة ، ص ٩٦
[2] المصدر نفسه ، ص ٩٧
[3] سورة النساء : الآية: ١٥٧
[4] حلوم : التجلي والصورة ، ص ١٨
[5] سورة الحديد : الآية : ٣
[6] حلوم : التجلي والصورة ، ص ٢٠
[7] المصدر نفسه : ص ٢١
[8] المصدر نفسه : ص ٢٢

والتجلي الصوري : " كمظهر للتجلي المعنوي من باب تقلب القلوب والأبصار"[1] ، قال أمير المؤمنين علي (ع) : " بها تجلى صانعها للعقول وبها امتنع عن نظر العيون" [2] ،والتجلي الصوري كما جاء في القرآن هو التجلي الصوري ست حالات:

١. التجلي للشيء ، قوله تعالى : " فلما تجلى ربه للجبل .." سورة الأعراف / ١٤٢.
٢. التجلي الشيء ، قوله تعالى : " فلما آتاها نودي من شاطئ الواد ...." القصص / ٣٠
٣. التجلي مع الشيء ، قوله تعالى : " وجاء ربك والملك صفاً صفاً .." الفجر /٢٢
٤. التجلي في الشيء ، قوله تعالى : " هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل..." . البقرة / ٢١٠
٥. التجلي على الشيء ، كقوله تعالى :" الرحمن على العرش استوى " طه /٥
٦. التجلي كالشيء : هو التجلي المثلي .. أو المرئي كقوله تعالى : " وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة " القيامة / ٢٢ ـ ٢٣.

وقد سبق القول عن التجلي وأنواعه واتينا عن ذكر بعضها كتجلي روح القدس (الأمين جبريل) (ع) لمريم بنت عمران ، قال تعالى : " فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً " سورة مريم / ١٧ .ويقول حلوم " التجلي أذن وسيلة معرفة الله الوحيدة ، فهو تجلى الله لموجودات فعرفته وعرفت نفسها ولولا التجلي لما عرف الله حق المعرفة ، ولكان كل حديث عنه قابل للتأويل أو الجحود أو إحالة فكرة الألوهية إلى عدم ... إذ كيف يعبد مجهول ؟ . ؛ لذلك كان التجلي ،وكانت معرفته ، وكانت الحجة ،وكان التوحيد " [3] .

ثانياً : نظرية الهو (هو)

يقول الشيخ فيها : الهو : " هو نظرية قديمة عرفت بداية العصر الإسلامي ، بدأت بشكل معرفة بسيطة للفظ (هو) ثم تطور هذا المفهوم حتى اصبح نظرية يقول فيها عدد من الفلاسفة المسلمين وخاصة المتصوفة منهم وكانت مدار عبث ودراسة " [4] . " والمراد بهذات التعبير عن أن الشيء هو عين ذاته ، ويستحيل أن لا يكون كذلك وإلا لانسد باب العلم ، وتعذر الحكم على أي شيء " [5] .ونقل عن ابن سينا : " بأن الهو هو تستعمل ايضاً في الاتحاد بين اثنين بطريق أو بآخر"[6] ، ويقول حلوم : " أن كل عارف لو أراد أن يكشف النقاب عن جماله البديع فلا بد أن ينشئ لنفسه أجنحة كالعنقاء ؛ ليستطيع أن ينقلع من محيط جاذبه الملك و الطبيعة ويرقى إلى قمة العلو في جبل قاف : " ثم دنى فتدلى " ، فينجذب في هالة مغناطيس القرب إلى حد : " قاب قوسين أو أدنى " وينال مفخرة : أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني " . [7]

---

[1] المصدر نفسه : ص ٢٢
[2] علي الأمام أمير المؤمنين : نهج البلاغة.
[3] حلوم : التجلي والصورة ، ص ٣٠ ـ ٣١
[4] المصدر نفسه ، ص ١٠٠
[5] المصدر نفسه ،ص ١٠٠، ومحمد جواد مغنيه : مذاهب فلسفية ، ص ٢٣٠
[6] مغنية : مذاهب فلسفية ،ص ٢٣٠ ، نقلاً عن حلوم : التجلي والصورة ، ص ١٠٠
[7] حلوم : التجلي والصورة ، ص ١٠١

الخاتمة

في كتب الصوفية والموحدين وأهل الحقيقة او الكشف أو العرفان تفاسير وتعاريف عدة انطلقنا من بعض منها جاء في كتاب " الظاهر والباطن ، وكتاب التجلي والصورة علماً أننا لم نستوفي جميع المصطلحات والمفاهيم التي تناولها الشيخ الدكتور حلوم في هذان الكتابان إلا أننا وفقنا عند حقيقة مفادها : إن مشايخ الصوفية احكموا أساس التقوى ، وتعلموا العلم لله تعالى وعملوا بما علموا لموضع تقواهم ، فعلمهم الله تعالى ما لم يعلموا من غرائب العلوم ودقيق الإشارات ، واستنبطوا في كلام الله تعالى غرائب العلوم والعجائب الأسرار وترسخ قدمهم في العلم .

وخاضوا بحر العلم بالفهم لطلب الزيادات فانكشف لهم مدخل الخزائن والمخزون تحت كل حرف وآية من الفهم وعجائب النص ، فاستخرجوا الدرر والجواهر ونطقوا بالحكمة . وأخيراً وليس آخراً أن الفكر الصوفي أكيداً .. لا يزال ينتج رجالاً في حضرة الفلسفة العربية ، غاية الصوفي فيها الفناء ليتسنى له الخلود في عليين مع أرواح الأنبياء والصالحين والأئمة الأطهار وسائل المؤمنين رحم الله الصوفي الشيخ محمد علي حلوم وجزاه الله عنا خير الجزاء ...

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .

١. ابن عربي ، محي الدين ابي عبد الله بن علي : رسائل ابن عربي ، حيدر اباد ، ١٩٤٨

٢. الإمام علي بن ابي طالب (كرم الله وجهه) : نهج البلاغة ، شرح الشيخ محمد عبده ، الدار الإسلامية ، بيروت ، (د.ت) .

٣. الجبوري ، د. نظلة : نصوص المصطلح الصوفي في الإسلام دار نينوى للدراسات والنشر ، دمشق ، ٢٠٠٨ .

٤. الحكيم ، د. سعاد : المعجم الصوفي ، ندرة للطباعة والنشر ، ط ١ ، بيروت ، ١٩٨١

٥. السراج الطوسي ، ابي نصر عبد الله علي (ت ٣٧٨ هـ) : اللمع في تاريخ التصوف الإسلامي ، تحقيق عماد زكي البارودي ، المكتبة التوفيقية ، مصر ، د.ت

٦. القشيري ، عبد الكريم بن هوزان القشيري : الرسالة القشيرية ، تحقيق نواف الجراح ، دار صادر ، بيروت (د.ت) .

٧. الكلاباذي ، ابي بكر محمد (ت ٣٨٠ هـ) : التعرف لمذهب أهل التصوف ، مكتبة الكليات الازهرية ، القاهرة ، ١٩٦٩ .

٨. حلمي ، محمد مصطفى : الحب الإلهي في التصوف الإسلامي ، دار القلم ن مصر ، ١٩٦٠ .

٩. حلوم ، محمد علي : التجلي والصورة ، دار ذو الفقار للطباعة والنشر ، اللاذقية ، سوريا ، ٢٠٠٩ .

١٠. حلوم ، محمد علي ، الظاهر والباطن في الإسلام ، دار عماد للطباعة والنشر ، دمشق ، ط ١ ، ٢٠٠١

١١. عبد الزهرة ، أحمد : الصوفية وسبيلها إلى الحقيقة ، نينوى للطباعة والنشر ، دمشق ، ط١ ، ٢٠٠٤ .

١٢. عفيفي ، أبو العلا : التصوف الثورة الروحية في الإسلام ، دار الشعب ، بيروت ، (د.ت) .